

هدى نعمة - عميد كلية الفلسفة والعلوم الانسانية - جامعة الروح القدس الكسليك

بمناسبة "يوم سعيد عقل" - ١٩ تشرين الثاني ٢٠١٤

رسالة سعيد عقل في زمن الفوضى الفكرية

أهلاً وسهلاً بك، في زمن الفوضى الفكرية، ضيفاً مميّزاً على مأدبة سعيد عقل الرسولية، حيث فعل الإيمان بالحياة يتجسّد في تلك العودة إلى الأصول، لا لتجترّ دوغمائيات أو لتعلّك ما طاب من الأيديولوجيات، بل لتنهل من ينبوع الحكايات الدائمة على الزمن ما أمكن، فتستعيد، إن شئت، شيئاً من قيامة الذاكرة، حينئذٍ قد تفهم معنى أن تكون من لبنان الكوني، بعد أن انصبت جهوداً هائلة على صناعة هويته، ولم تفلح، حتّى الآن، في الخروج من القفص الضيق للطوائف والمذاهب والعقائد، ولم تتمكّن من إرساء مفهوم مواطنة متحرّر من الولاء للجماعات.

كتب الكثير حتّى ضجّت منه الصفحات، خطب في الناس وخاطبهم، حتّى بات جزءاً من ذاتهم، عجز العقل عن الاعتناق منه... وإن جاز لأحدهم إطلالة في الجمال والتسامي، فتراه يسترقّ قَبساً من نوره أو يتلو بيتاً من قصائده، فتأتيه الرفعة سخية، ويتشّح بهالة الثقافة، ويكون قد اعتلى المنابر كبيراً...

سعيد عقل شابٌ لبنانٌ الدائم على الزمن، خريفه المتألّق أبداً من نور العصور العاجزة عن أن تلوي من هامة تحدّت الأعاصير بإيمانها بوطن سبكته أحلام الآلهة؛ صنعهُ نَفْسُ المسيحية الزاهدة، وجبله التراب والأرز بدم الشهادة وعطر النسك...

إنّنا اليوم نواجه عصرًا في رجل، العصر مرّ، وآخرُ ابتداء، كثيرون زالوا وسعيد عقل باقٍ...

هو في السنة الثانية بعد المئة، وفي ألف سنة من الإشعاع... وإن خصّص المركز الأعلى للبحوث التاسع عشر من تشرين الثاني ٢٠١٤، يوم تكريم لسعيد عقل، لهذا الكبير من لبنان، فتكون المناسبة اعترافاً لعطاء قلّ مثيله، والتفاته عزيزة للواحد الأحد من "شعب الآلهة" ومن "حملة لغتهم.

وسعيد عقل واحدٌ من سلسلة معلّمي العالم، هذا السعيد بالذات، يجعلني اليوم في مأزق من موقع أهل العلم والثقافة وورثة الحضارة في لبنان... ويشبه هؤلاء، في معظمهم، النزلاء في فندق الثقافة، أو في أحسن حالاتهم، هم أرباب قلم استُخدمت أتعابُه مجارة للصدمة الحضارية القائمة في القرية الكونية، أو إمعاناً في النتاج الفكري والأدبي الغربي، وقد غصّت براجنا التعليمية، ما قبل الجامعية منها والجامعية، بجشد من معارفٍ مصدرية أو بتسوية فكرية تشبه الستة والستة مكرّرة، حتّى يستوي التوازن الفكري في الأجيال الناشئة، فتعتاد على

الرضوخ والقبول بما يُملَى عليها، طالما أنّها لم تطَّلَع على اسم تَمَرَّد كالمارد، تحدَّى كالبطل، استشهد على حبال من حبر، سكب فيها من الحبِّ أنهارًا، وأرَّخ على امتدادها فلسفةً وطنيَّةً استوعبت كنزَ المؤمنِ وبُعدَ الخلاص... .

سعيد عقل، نحن اليوم نتداول في بعض أعمالك، وظنِّي أننا لن نَفِيكَ قدرك، فالأمير الكلمة جيش من العلماء، ومحضري، وإن بمرارة، قول ألكسندروس ساويروس: "فَقَدْ نِصْفِ الامْبِرَاطُورِيَّةِ ولا الاعتداء على عظيم"^١.
وإن كنَّا ارتأينا في هذا المقال أن نتناول ما حملته كتابات سعيد عقل من كنزٍ وطنيٍّ وإرث حضاريٍّ، إلَّا أنني سأسمح لنفسي بأن ألقى الضوء على قليل من طاقة الحبِّ التي تميَّز بها الشاعر، ومن ثمَّ سأنتظرُ إلى الموضوع الخاصِّ بـ "رسالة سعيد عقل في زمن الفوضى الفكرية".

عشق سعيد عقل الكلمة، مدَّته بما عندها وأغدق عليها من عبقريته، سحرته، جذَّبه، فعلت فيه وفعل فيها، فانسكبت قصائده مصلىً لوحي يرفعك حبًّا، فيغمرك عشقًا، تجتاحك خمرته الأرجوانيَّة، فتنتشي، وتلج عمقًا من الأضواء ربَّما من الضوضاء، وإذا بك في الحبة يلقاك ندى الربيع، فالردُّ:

"جئتُك أرمي فألمَّ

أو لا أُلِّم... لا أُلِّم

أرمي كوردة إليك"^٢.

وتتوالى السفارة، على متن الشوق والحنين، فترتعش، وتهتزُّ، وترتجف، فيعتريك شيءٌ من سكر يدغدغك، يجري في عروقك، فترهف، وتهمس:

"أيُّها الساكن بي،

عُصنَ ورد، عُصنَ آس

حُلِّمي لو أنا كاس

وأغنيك "اشرب"^٣.

^١ لبنان إن حكى، ص ٦٥.

^٢ من دفاتها، ص ١١

^٣ المرجع ذاته، ص ١٩

أو تشدو:

"أنا هَوَى الصلاة

كن أنت ما كُننا

مطلُعها أنتا

قصيدهُ الحياة!"^٤

أو تسمع وتغفو على أنة:

"العينيك تأتي وخطر

يفرُش الضوء على التلّ، القمر؟"^٥

أو تسمو وتعالى وتصيبُ نجومَ السماء، قباها، فُتُنشدُ:

"بلادي، دعوني أشدُّ

نُراها إلى الخُلم هادي

يعلمني الخُلم أن ليس

إلا التمرُّ زادي

بلادي، دعوني أصبُّ

لها الكأسَ خمرٍ ودا!"^٦.

وانطلاقاً من هذه الانعطافة الدافعة، المترقّعة على تواضع، الحكيمة في جنون حبّها للأرض وللإنسان، يمكن تحديد موقع رسالة سعيد عقل العلاجيّة المستمدّة من صلب حياة المرء وقد أضع هويّته بفقدانه أباه التاريخي والطبيعي، والهادفة إلى تحريرنا من أدراننا الدينيّة والسياسيّة، وإقصاء اليأس عنّا، وإلى الحؤول دون انغماسنا في البؤس المعنويّ المدقع، لأنّ النور الفكريّ لم يلتق بنا، أو لأنّه لم يصادف الكثيرين منّا على طريقه.

إنّها الرسالة الخالدة في مواجهة زمن الفوضى التي أنجبت "الربيع العربيّ" المأزوم، وإن انقلبت المواقف على سعيد عقل مراراً فلا أتردّد في البوح أنّ الجرأة الأدبيّة لا تخلو من ضريبة.

^٤ من دفترها، ص ٢٧

^٥ رندلي، ص ١١

^٦ أجراس الياسمين، ص ٣٤

في هذا الزمن الرديء الذي انطلق من مأساة بو عزيزي المؤسفة، حتى صار شعاره "داعش" و"النصرة" و"الإخوان"، وما يشبهها من التوصيفات والتسميات، التي أزكت نظرية إسقاط الأوطان، وحذف معالمها، وطمس تاريخها، حيث يغدو الله غضباً يسير مشرقنا العربي، وحيث يتم القضاء على العيش المشترك لصالح تفاقم العنصرية والفئوية واللغة الخشبية، والتعنُّت المضي، والقدح المستفحل، ورفض الآخر المختلف، كائناً من كان... في مثل هذا الزمن العصيب تصبح حاجتنا ماسة إلى فكر ملهم لبث روح تنادي بالحبّة، لاستواء الرجاء، ولجيئه الثاني.

إنني أقرأ في نتاج سعيد عقل، في زمن "السنين العجاف"، لأستمد منه عبراً حكيمة، رشيدة، لحياة نسير فيها معاً، لسياسة العيش معاً بانسجام وتآلف واحترام متبادل... لنقول لإخوتنا في هذا الشرق العربي: تعالوا إلى كلمة منيرة نستخرج منها هويتنا المصنوعة من لغة حملت تراثنا الثقافي والديني والفني والعلمي والأدبي، وعُجنت بهواجسنا وأفراحنا، هي هوية التّوَع في الوحدة... هي هوية يفتقد العالم اليوم إلى مثلها.

تعالوا إلى فكرية السعيد نتعلم كيف تعاد صياغة الديمقراطية، التي لن تكون هديّة الدول العظمى الزاحفة إلى أوطاننا عن طريق المدافع والدبّابات والطائرات والتكنولوجيا، ولكن عن طريق استعادة تكويننا للمعرفة والثقافة.

تعالوا إلى العبّ من نبوءة السعيد المفعمة حباً وكأها شرارة انفلتت من خاتم الله لتلمي عليه آياته، وقد أضحّت منهالاً يعبُّ منه كلُّ شعوف وولهان... "صيدون، القدس، إنطاكية، دمشق، يؤر عقليّة أربع لا تنكفي على ذاتها بل تروح تتحاك والعقل العالمي، تُخصبه ويخصبها"^٧.

"وإن تتركت إنطاكية [مع الزمن]، وتبدّت صيدون ودمشق، وتصهيت القدس، إلا أنّ لبنان ما انفكّ على الزمن يحتضن [إرثها النير] بحرص [...]؛ هذا الإرث الذي كوّن لبنان وذاتيته وثرأه العقلي. وحدّه بأنّه "ما وراء" تخوم ونطق وعرق ووحدة أيّ تاريخ كان"^٨.

هي مجرّد دعوة لصحوة ويقظة ضمير نُثري الحاضر من الماضي وتستشرف المستقبل...

القدس فرغت إلا من العنصرية والعداء والتشّت هنا، والعنجهية هناك، وصيدون سيّدة البحر بالأمس، خزينة نصف ذهب العالم، ومسقط رأس فيتاغوروس القائل في نمط عيشها: "إنّها الحرّية إنّها إرادة التغيير"^٩، قد قوّضت زمن أرضنة السماوات بعد أن اجتاحتها ورْم ينخر في جسمها سوس التفهقر والتراجع، ويدك أسوار

^٧ قدموس، ص ٢٠

^٨ المرجع ذاته، ص ٢٣

^٩ لبنان إن حكى، ص ١٩

الحضارة الإنسانيّة الكبرى، وصيدا التي يذكر الإنجيل، أنّ المسيح، عندما خرج من تخوم صور، "أبي إلا أن يمرّ فيها"^{١٠}، صيدا هذه، هي اليوم مدينة تُصَلَّب وتعاني وينتابها انفصام في الشخصية، وأجد نفسي مشدودة أكثر فأكثر لأتمسك بعبديّ الصيدونيّ، الذي قال فيه داريوس، يوم وصله خبر وفاته: "لقد قلّ النور في الأرض"^{١١}، وكان قد قال عبديّ لداريوس، في زمن استلامه زمام الحكم: "عمر، عمر دومًا. واعتمد العلماء وذوي الاختصاص، ولتكن أعمالك آخر كلمة في الحضارة، الملك لك، يا داريوس بقدر ما تحُدُّه. وبهذا القدر يشيل بك إلى النجم"^{١٢}.

لقد تهجرت الديمقراطية من صيدا، وغابت عنها نصائح عبديّ في السلطة:

"إمض في ترقية شعوبك،

إمض وليشعر كلُّ فردٍ

من رعيتك بأنه اليوم متحضّر أكثر منه بالأمس، وغداً أكثر منه اليوم"^{١٣}.

أمّا دمشق، عاصمة الامبراطوريّات الكبرى، فهي اليوم، لؤلؤة تقضي آخر أيّام الحضارة المشرقيّة، ويقدمها الأقربون والأبعدون طبقًا تستسيغه الأطماع السياسيّة، وصحنا يوميًا تختار منه وجبة سنّيّة أو أخرى شيعيّة، وترمي المسيحيّة منها في ظلمة التاريخ، فتستقرّ شام المجد ملعبًا للمعارضة والنظام، وهو سًا يستمدُّ التحلّف من مناجم التكفير في إنشاء خلافة دينيّة في زمن عولمة كاسحة.

وإنطاكية التي لم يبق لنا منها إلا لقب "بطريك إنطاكية وسائر المشرق للموارنة" وسواهم...

فلسطين تتحب بين حماس وفتح ما عدا ما فرط من عقد الوحدة في مجتمعتها، في الداخل والخارج، أمّا فلسطين سعيد عقل فتخرج من دائرة الفتن والدسائس والكيدية والصهينة والعروبة والقوميّة والمقاومة الإسلاميّة، وكلّ هذا الرصف من الكلام والتوصيف والتأريخ المملّ، لتجدها في قصّة ابن القائد الفلسطينيّ، حبيب بلتسا الصيدونيّة، وقد أعلمها أنّ أهل السياسة والقيادة في فلسطين سينقضّون على صيدون، وأنّه لا مفرّ من هذا القرار القاتل، ورجاها أن تحيط الصيادنة علمًا بالأمر، ليتفادوا التدمير والتهجير والقتل... ولمّا لم تفلح بلتسا قي إقناع

^{١٠} لبنان إن حكى، ص ٩١

^{١١} المرجع ذاته، ص ١٤٧

^{١٢} المرجع ذاته، ص ١٤٩

^{١٣} المرجع ذاته، ص ١٥٠

ذويها بخطرورة وضعهم، ولما انتهت الغزوة بقتل الصيادنة وبتكاثر قبورهم، وبلعنتم اسم فلسطين، كانت بليسا تبكي على قبر أهلها وتردد: "أما قلب فلسطين الحقيقي فقد رأيتة يخفق بين يدي"^{١٤}.

هذه باختصار فلسطين سعيد عقل، الشعب الشقيق، الأرض الجارة، المصير المشترك، الحقيقة الصارخة والثابتة... إلا أن الفاجعة أكبر.

لماذا؟

لأنّ ذهنيّة لم تعرف الحبّ الجامع ما زالت تسيطر على أوطان الشرق الأوسط، وتحول مهد الديانات السماويّة وموئل الحضارات القديمة ساحة للهويّات القاتلة.

هذه هي ذهنيّة المعازل، وقد تكلمت مفاهيمها، ذهنيّة السجون الخالية من قضبان، فتتسع اتّسع الجماهير التي لم يعلّق عليها شيء من غبار الفكر الذي علّم معلّمي العالم... أنت اليوم في مواجهة ذهنيّة أوطان ضيقة خرجت من رحم الاتّفاقات الدوليّة، وأقامت لها حدودًا وحصونًا، وتوقعت وتعلّبت، وتقولبت، فلا قوميّة ليبراليّة موحّدة كانت مفيدة لتقدّمها، ولا وطنيّة متساوية عاقلة استقرّت فيها، ولا إيديولوجيا خالية من الانتماء الدينيّ وجدت لها تربة خصبة، ولا تاريخ يكتب بمنطق وموضوعيّة ومنهجية ليردّها إلى أصولها، فتسأل وتساءل، وتعلم وتعلّم، فتتصّب وتنفّل... إنّنا أبدأ في أنظمة "إمبراطوريّة" متسلّطة عفنة، تقابلها أنظمة بائدة مدّت... والإنسان، في هذه المعتقلات الكبيرة، فريسة الجهل، والظلم، والقتل، والخطف، والموت، لتبقى حيّة أرض محروقة وتاريخ لم يصنع.

وفي معرض هذه اللوحة القائمة التي تجثم على قلوب المشرفيين، قد يكون مفيدًا أن نقيم الذاكرة، علّ ابن لبنان بخاصّة، وابن المشرق بعامة، يستعيد شيئًا من هويّة تآكلت وذابت في جنسيّات غير قابلة للعيش، فيكسر إنسان الشرق الجديد قمقمًا حُشرت فيه عشيرته، فيتندّر أنّ المرأة الشرقيّة هي إلسنا التي تضرم بيدها النار، ووسط اللهب تغمد في صدرها السيف. ويكون وفاءً بالزوج وبقاءً لقرطاجة"^{١٥}.

ويتندّر أنّ "أفقا" حاضرة الدين والثقافة، هي ملتقى "ندوة الحكماء"، فيتعلّم أغنية برتيس لابنها فيتاغورس: "لبنانيّ أنت يا بنيّ، لبنانيّ"، ويتبنّى الحرّيّة نهجًا والتغيير مفهومًا، فيمعن في تعزيز ذات تمتنع على العاديّين من الناس.

^{١٤} لبنان إن حكى، ص ٢٣١

^{١٥} المرجع ذاته، ص ٤٧

ويتذكّر أنّ عرقة هي موطن ألكسندروس ساويروس، إمبراطور روما، عام ٢٢٢، الذي "حفر فوق رتاجات قصوره الكلمة الخالدة: "لا تفعل بالآخرين ما لا تريد أن يفعله الآخرون بك"^{١٦}، ولا يخفى محتوى هذا الكلام على عاقل من احترام الآخر المختلف، ومن حكمة تقتضي تقديم العقل على سواه في كل شأن عام... وتصدمنا هذه الفلسفة الرؤيويّة إنّ هي قورنت بما يجري اليوم في ساحاتنا.

ويتذكّر قدموس، ابن أشتار، ملك من لبنان، الذي استطاع إنقاذ أطراف عضلات زوش من عهدة التّينة دلفينا في مقابل قيلة من أفروديت [...] جعلتها، وفاء لقدموس، "أن تؤثّر سكنى لبنان على سكنى الأولمب"...

فيلاقي عبد الرحمن الأوزاعي الذي ارتبط اسمه ببيروت فيعتزّ أنّها تضمّ رفات من قيل فيه: "كان الإنسان الكامل، أعلم علماء عصره، وأشرف شرفاء عصره"^{١٧}.

وطرابلس، التي امتنعت بالأمس على معاوية، ورفضت أن يجلو أسطول بيزنطية أهلها جميعاً، وآثر فتياها الموت في مدينتهم على الهجرة... طرابلس التي تعاني الأمرين في زمن "داعش" و"النصرة" وفي عصر ٨ و ١٤، فتذوق عذاب "باب التّبانة" وحسرة "جبل محسن"، طرابلس الأبيّة تفتقد ابنها حورقيل، بطلاً يدافع عن حرّيتها وكرامتها، ويوصي زوجته وهو يلفّ عنقها بشالة من الحرير الأخضر: "هذه، إيتاك أن تضع، إنّها جزّ في عائلتنا، مسحتة أمّ جدّي على قبر المسيح وما بقيت معنا فنحن بخير"^{١٨}.

ويغيب اليوم عن مسيحيّ الشرق الباسلون منهم، فإذا بهم يتصدّرون المنابر ليتكلّموا في "الأقليات"، وفي مصيرهم، ويسكنهم الإحباط، ويسكنهم الموت الرحيم، وتتعلّل ذاكرة كان أولى بها أن تتوغّل في تاريخها الفرديّ والجماعيّ لتلتقط من تضحية إلزا ورفئيل بعثاً للحرّية، ونموذجاً لعدالة لن تموت مهما فسد القضاء، ولتستدرك أنّ الغازي اليوم لا يختلف عن الغازي البابليّ أو الغازي المقدونيّ في الأمس، ومع ذلك امتنعت عليه صور وقد سقطت كلّ الممالك الأخرى في "الشرق"، والسبب أنّه "يموت النور في عيني الصوريّ يوم تموت الحرّية"^{١٩}. وهذا إرث حيّ حتّى اليوم.

^{١٦} لبنان إن حكى ، ص ٦٥-٦٦

^{١٧} المرجع ذاته، ص ٨٣

^{١٨} المرجع ذاته، ص ٩٥

^{١٩} المرجع ذاته، ص ١٧٣

وهل نبش اللبنايُّ في حصن تيرون عن أمير أقلق الآستانة وهو "لما يشتدُّ ساعدًا" بعد ... ومع إدراكه أنَّه سيُقتضى عليه من قبل العثمانيين... لم يتوانَ عن جعل الجبل يرتعش رعشة البطولة [...] وعن مدِّ لبنان بسجلاً بطولات العنقوان [...] لأنَّ لبنان وحده منجم البقاء^{٢٠}.

وعليه، عندما نذكر أشياء الفكر، الفكر في مناخاته العالية، تخطر على البال بيروت... بنتُ إيل بالذات^{٢١}، بيروت بمدرسها الحقوقية مدَّت العالم الرومانيّ، حتَّى منتصف القرن الخامس، بمفكره وقدّيسه ومشرعيه وساسته^{٢٢}.

ونتوقّف عند بول كولينه، وقد كتب على جلدة الطبعة الأولى من كتابه: "تاريخ مدرسة بيروت الحقوقية"، بضعة أبيات من ملحمة الشاعر الإغريقي نّوز، هذه ترجمتها:

"لن تمنحي النزاعات الدامية المدمرة،

تلك التي تفتك بالشعوب،

إلا متى عدت بيروت،

قيّمة على راحة الحياة وعلى طمأنينتها،

مُسيطرة على البحر والبرّ،

مُوطّدة سبل القوانين،

مُستأثرة بالحكم المطلق على جميع مدن العالم"^{٢٣}.

وبيروت Centre-ville، والضاحية الجنوبية، والطريق الجديدة...، والغربية والشرقية... ومليون الـ ١٤، ومليون الـ ٨...، بيروت هذه المرتبط اسمها تاريخياً بالسلام العالميّ، بالعدالة العالمية، تستجدي عدالة المحاكم الدولية، وتتسكّع على أبواب دول ما عرف التاريخ لها اسماً ولم تذكرها ميتولوجيا... ولم تحتضنها الديمقراطية... ولم تملأ بطون الكتب برواياتها.

كيف لأرضٍ علّم فيها مكسيم الصوري مارك أوريل، وانطياتر الصوري كاتون الأوتيكي، وليبانيوس يوحنا فم الذهب، وزينون الصيداوي شيشرون... كيف لأرض ولد فيها قسطا بن لوقا، وبلغ بجارتها البرازيل ثلاثة آلاف سنة قبل كولومبوس...

^{٢٠} لبنان إن حكى، ص ١٩٦

^{٢١} المرجع ذاته، ص ٢٠٤

^{٢٢} المرجع ذاته، ص ٢٠٥

^{٢٣} المرجع ذاته، ص ٢٠٠-٢١٠

كيف لمثل هذه الأرض أن تنسى سنخوني اتن، "أبا التاريخ"، قبل هيروودوتس بنحو ألف سنة، كيف لها أن تدفن الحرّية في قانون يسمح بالتمديد لمجلس النّوّاب وهي الشاهدة على المسيح يقول لأّمّه: "إنّني بعد أن أكون زرت لبنان أتبدّل آخر"^{٢٤}.

قد نعجز عن إيجاد الجواب الشافي لأسئلة تقضّ مضاجعنا اليوم، وترمي علينا وشاحًا ضبابيًا ظلاميًّا يفصل بيننا وبين تاريخنا، ويُلْهِمنا بقصص يوميّة، يطغى على أبطالها اللون الدمويّ، ومعن فيها الفرد إلى حدّ إلغاء الآخر...

وتسأل نفسك كيف تتناول تاريخ هذه الحقبة من مطلع الألفيّة الثالثة من غير سعيد عقل؟

من أيّ نبع سيعبّ اللبنانيون إرثًا يتركونه للأجيال القادمة؟

ولكن، لا نخشى عودة النبوّة، إنّها حرزٌ في عائلتنا اللبنايّة الكبرى: "سوف يكون لبنان، بحكم إرثه، هديًا لكلّ مستهدٍ، ومدرسة حبّ لكلّ مُبغض، وسعة لكلّ ابن حقّ ضاقَ به صغر الأرض.

سوف يكون البلد الوحيد [...] الَّذي يأمن العقل فيه أن يحكم على أيّ إله ولأيّ إله، على أيّ إنسان ولأيّ إنسان، على أيّ عمل ولأيّ عمل [...] .

[...] به يتعلّم اليهود كيف الإقلاع عن عنصريّة، ومنه تتلقّن آسية، لا كيف استخدام الآلة، بل كيف المساهمة في العلم الَّذي أوجد الآلة"^{٢٥}.

هي الرسالة في زمن الفوضى الفكرية...

وما المطلوب؟ ما الَّذي يجب أن نفعله لندفع عنّا ما يتربّص بنا من ويلات قد تحيّب آمالنا بانحسار الرسالة الخلقية؟

المطلوب هو نخبّة تتحرّك في مستوى المصائر الكبيرة، والنخبّة المرجوّة في الشرق، اليوم أكثر من أيّ زمن مضى، كناية عن جسم حيّ عاقل، خلوق، واع، مندفع بفعل إراديّ، مدرك بالمسؤوليّة عن مستقبل الإنسان في الأرض... أكبر من تطلّب الحكم، وفوق شهوة السلطة... نخبّة تبعد عن كلّ وطن في الشرق أيّ شرّ قد يخطّط له... أمّا والحالة هذه في الشرق، فالصهيونيّة بالأمس القريب والداعشيّة اليوم... إلى جانب جيوش أصبحت وظائفها في أوطانها مهزلة قدريّة، فالجيش في لبنان يحمي لبنان من لبنان، وكذلك في مصر والعراق وسوريا وفلسطين... والنخبّة تبدو بعيدة المنال في بلدان الشرق، الّتي تتميّز حكوماتها بنصب العدا مع مثقفيها... والّتي

^{٢٤} لبنان إن حكى، ص ٢٦٤

^{٢٥} قدموس، ص ٢٣

تتميّز مجتمعاتها بطول أزمتهام مع العقل، وشكّها بقدرته على تعهّد المصير البشريّ، ولعلّ الآفة الكبرى يعبر عنها قلة الطموح من جهة، والجنوح نحو الخراب من جهة ثانية، كلّ ربع أو نصف قرن، والمتنقل هنا وهناك، مبعداً الأحلام الكبيرة عن أوطان صغيرة أكبر مبتهاها أن تسكن محبة الله فيها. (راجع مشكلة النخبة في الشرق)

كألاً! إنّ الدعوة مفتوحة للخروج من جمودنا بثورة المعرفة... بالمقاومة الثقافية، للكفّ عن استخدام الذكاء الرخيص... لإبعاد الخاملين عن الحكم... لتحطيم الأصنام كي تحل محلّها الآلهة.

حينئذٍ قد يحقُّ لنا أن نقول:

"نتحدّى الدنيا شعوباً وأمصاراً ونبي، أنّى نشأ، لبناناً"

سعيد عقل، أرجو منك العذر، فخطابي أقلّ قدرًا من عطاءاتك، إلّا أنّي سأحمل في جعبتي ذكرى سعيدة، لقد تسنّى لي أن أسجّل للتاريخ فيك كلمة.

لائحة المصادر والمراجع

- سعيد عقل، لبنان إن حكى، مؤسّسة نوفل، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٧٧.
- سعيد عقل، أجراس الياسمين، منشورات نوفل، بيروت، طبعة أولى، ١٩٧١.
- سعيد عقل، قديموس، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع، طبعة ثالثة، ١٩٦١.
- سعيد عقل، رندلى، منشورات جامعة سيّدة اللويزة، الطبعة الثالثة، ٢٠١٢.
- سعيد عقل، قصائد من دفترها، منشورات جامعة سيّدة اللويزة، الطبعة الثالثة، ٢٠١٢.
- سعيد عقل، مشكلة النخبة في الشرق، دار الكشّاف للنشر والطباعة والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٥٤.
- Raif Georges KHOURY, *Les magiciens du mot et l'importance de leurs œuvres pour une politique de convivialité, sans conflits politiques et religieux, dans le monde arabe*, sous presse, USEK.